عدد الواقفين حول النصب كبيرا. لا أدري كيف ومتى احتشد الخلق، ربما لم انتبه لوقوف مجموعات متناثرة ضمت الصفوف في دقائق فصارت حشدا. انتشرت الأعلام واللافتات وعلا الهتاف. ثم علا أكثر. في لمحة، ظهر الجنود، شكلوا حائطا يفصل ساحة النصب التذكاري لشهداء الجامعة عن الطريق المؤدية إلى الجسر. دفعت بي البنت بعيدا عن العسكر. رأيت طلاب الجامعة يتقدمون من عمق الحرم باتجاه البوابة المغلقة، يهتفون من وراء السور، يجاوب هتافاتهم حشد أصغر ملتف حول النصب في الجانب الآخر من السور. رأيت أولادا يعتلون المنصة ويتسلقون نصب الجرانيت ويرفعون عليه الأعلام. رأيت ولدا محمولا على الأكتاف، ذراعه مرفوعة، وفي يده قلم، يحرك يده بعناية وبطء يشكل حروفا كبيرة، يضيف إلى نصب الشهداء جملته، ورأيت بنتا تتسلق بوابة الجامعة حتى حدها الأعلى وتهتف فيجاوبها الشباب. كانت نحيفة خفيفة الحركة، محجبة وتلبس بنطلونا. استقرت أعلى البوابة وراحت تهتف. ثم لحق بها بنت أخرى وثلاثة شباب. التفتُ إلى شهرزاد، قلت: «لا تتقيدي بي». نظرت إليّ مستفهمة. قلت: «بإمكانك أن تصعدي إلى المنصة أو تلتحقي بزملائك ما إن يتمكنوا من فتح بوابات الجامعة والخروج». ربتت على كتفي.

لا أدري ما الذي حدث. ربما سمعت الفرقعات أولا، ربما أحرقتني عيناي وهاجمني الدخان الكثيف ثم انتبهت للصوت، ربما تنبّهت أول ما تنبّهت للحركة المفاجئة، تخلخل الحشد، قفز أولاد من أعلى المنّصة راكضين، البنت تندفع بي في اتجاه السور. وقفنا في جانب، على بعد خطوات من حائط آخر من الجنود، الجنود أيضا يفركون عيونهم، حمراء من أثر القنابل المسيلة للدموع. ربما أخطأت في المجيء. لماذا أحمّل شهرزاد عبء الاهتمام بي؟! علا الصوت أكثر وعاد الناس تدريجيا ليتحلّقوا حول منصة النصب التذكاري، فجأة ارتفع التهليل واختلط التكبير بالهتاف، للحظة لم أفهم ما الذي يحدث. رأيت الأجسام المتدافعة تشغل الحيز كاملا بين السور وما بعد النصب. كان